حلب الشهباء

موقعها — قدمها — اصل اسمها

ما نحن من يصف قدرها الخطير ومحلها الاثير[١] او يطنب في بسيطها المشهور وما تجده النفس فيهِ من الانبساط والسرور[٢] ولا من يتغزل بظلها الضافي ومائها الصافي وسعدها الوافي وانوارها المشرقة وازهارها المونقة واشجارها المثمرة المورقة[٣] ولا من يقف على اطلالها فيندب كبار رجالها ويبكي منازلها وديارها وينعي سكانها وعمارها[٤] ولا بالنتيجة من يجدها من (الشام) الواسطة من العقد والقلب من الصدر والانسان من العين[٥] الى ما اشبه هذه من ألفاظ مبتذلة وفواصل باردة وقفت عندها البدائه فلاكتها الألسن وتداولتها الأقلام دهراً طويلاً فما زادت هذه المدينة تعريفاً ولا اجدت في حقيقه حالها شيئاً مذكوراً

وانما نضرب عن ذلك كله لقلة فائدته الى ان حلب مدينة عهيدة دالت بها الاحوال والدول بين العزة والذل والقوة والضعف والرفعة والانحطاط شأن سائر بلاد الله العديدة فكان لها في غالب الاحيان من الاسباب والوسائل ما تدرجت معهُ في مراقي العمران والحضارة وأصابت

---

(١) ابن جبير فى رحلته المعروفة (٢) ابن بطوطة فى رحلته المشهورة (٣) ابن احمد المهلبى فى كتابه المسالك والممالك (٤) ابن جبير وابن فضل الله فى كتابه مسالك الابصار (٥) ابن شداد فى اعلاقه الخطيرة وابن الشحنة فى دره المنتخب

من زمن بعيد من الخطورة والأهمية ما جعلها من امهات البلاد السورية على ما هو مقرر بالاجماع

وجل ما نذكره في هذه النبذة موقعها وقدمها وشعوبها ومشاهيرها ومرافقها وما يتصل بها من احوالها مستندين فيها الى أوثق المصادر وأثبت الآثار فعسى ان تصادف قبولاً عند القراء الكرام

ان حلب واقعة في جوف بعيد الاكناف والاطراف في جهة سورية الشمالية وتبعد عن البحر المتوسط ٧٠ ميلاً او ١٥٠ كيلومتراً وهي في درجة ٢٥َ ١١ً ٣٦ْ من العرض الشمالي و ٩َ ٣٧ْ من الطول الشرقي على ما قاله فانديك في مرآته الوضية

تتوسد جوفها المطمئن الى رياض وبساتين نضرة وسهول واسعة خصيبة يكتنفها ربى وتلال مجدبة قاحلة كما هو الغالب في جبال سورية ويجري الى جانبها نهر قويق الذي دعاه كزينوفون (خالسن) ويعزى الآن الى قويق آغا الذي اصلحه وكان يلقبهُ أهل الخلاعة (بابي الحسن)

ولا تبدو حلب للمسافر الاَّ عن كثب فيراها متراصة مركومة بعضها فوق بعض . واول ما يشاهده منها قلعتها المشهورة ومناور جوامعها ومآذن مساجدها وقباب كنائسها العظيمة ومنازلها الكبيرة وبين شهبة أبنيتها وخضرة بساتينها وحمرة رباها مشاهد رائعة ومناظر فاتنة تدهش الابصار وتأخذ بمجامع القلوب

وكانت المدينة محاطة بالاسوار فلا يؤذن في البناء خارجاً عنها حتى ضاقت على أهلها في اواخر القرن الثالث عشر فشرعوا يشيدون من

حولها حارات بانقوسا والاكراد والهزازة والجديدة والمشارقة والكلاسة وما اشبه . وفي اواخر العصر الماضي أخذوا يبنون ايضاً احياء الجميلية والعزيزيه والتلل والسليمانية والنيال والحميدية وما يتصل بها حتى كاد البنيان الحديث يعادل القديم

واما حاراتها القديمة فحسنة على الجملة وأسواقها مرصوفة وأزقتها ضيقة وبيوتها مبنية من الحجر الابيض وتشابه دور دمشق واما احياؤها الحديثة فبالغة حد الاتقان وأبنيتها متقنة الهندسة وشوارعها مرصوفة الجوانب على طرز المدن المستحدثة وأطول طرقها واوسعها طريق الخندق الذي مده رئيف باشا من دار الحكومة الى محلة الجميلية

وشرب أهلها من آبار نابعة ومن صهاريج تجتمع فيها مياه الامطار ومن قناتها التي تجري اليها من جيلان على مسافة ثلاث ساعات شمالاً وتتفرع في القني الى الدور والمساجد والخانات والحمامات والقساطل ويقال ان هيلانة ام قسطنطين الكبير هي التي جرتها الى الكنيسة العظمى فعرفت بها ولا ريب في ان ماء حلب عذب فرات

وشتاؤها معتدل تشتد نوالفه في شهري كانون الاول والثاني وتكثر فيهما الأمطار والثلوج واما صيفها فليست وغرته بمفرطة ولو تصاعد فيها الى الـ ٤٠ درجة من المقياس المئوي وذلك لنشف هوائها وهبوب الريح الغربية عليها في حمارة قيظها فتلطف اوارها وترطب هواءها في معظم ساعات النهار . ولهذا ترى حلب طيبة السكنى معتدلة الجوّ تصح به الاجسام

ولكن لا بد لاهلها دائماً وللغرباء نادراً من ظهور بثرة او خراجة تسمى حبة حلب او حبة السنة لا تبرأ قبل سنة من ظهورها وليس لها علاج خصوصي يعول عليه في معالجتها . وقيل ان سببها من الماء وقيل بل انه من المناخ او الهوام لانها لا تظهر الا في المحال المكشوفة من البدن كالوجه واليدين والرجلين وهي توجد ايضاً في عين تاب وعلى شطوط الفرات الى بغداد

وهي المدينة السورية الوحيدة التي حافظت على مزاياها الشرقية البحتة من حيث البناء والعيش وعادات السكان وجودة الطباع الى اشباههاما فقد من غالب البلاد السورية فلا عجب ان راقت هذه المدينة في أعين السياح لانها تذكرهم في القرن العشرين بمزايا المدن الكبرى التي عمرها العرب في القرون الوسطى وأودعوا أخبارها ومفاخرها بطون تواريخهم المعروفة

قال كتبة العرب [1] : ان اسم حلب عربي لا شك فيهِ وهو لقب لتل القلعة . فكان ابرهيم (عم) اذا اشمل من الارض المقدسة ينتهي الى هذا التل . . . فكان يأمر الرعاة بحلب ما معهم طرفي النهار . . . يتصدق به على الضعفاء والمساكين فينادي الضعفاء : (ابرهيم حلب ابرهيم حلب) فيبادرون اليهِ . وغلبت هذه اللفظة لطول الزمان على التل كما غلب غيرها من الاسماء على ما هو مسمى به فصار علماً بالغلبة

واول من تنبه لهذا الوهم ياقوت الحموي [2] فقال : وهذا فيهِ نظر

---

(١) ابن شداد في كتابه الاعلاق الخطيرة في امراء الشام والجزيرة

(٢) معجم البلدان مج ٢ ص ٣٠٤

لان ابرهيم (عم) وأهل الشام في ايامه لم يكونوا عرباً . انما العربيـة في ولد ابنه اسماعيل (عم) وقحطان . . . فان كان لهـذه اللفظة أعني حلب أصل في العبرانية او السريانية جاز ذلك لان كثيراً من كلامهم يشبه كلام العرب لا يفارقهُ الا بعجمة يسيرة كقولهم : (كُهنم في جهنم)

والصواب انها (حلبون) بتر العرب علامـة الاعراب من آخرها فصارت (حلب) كما فعلوا بانجيل من اونجيليون وبطرق من بطريقيوس وبطرك من بطريركا او فطريركيس وما أشبه . قال السيد يوسف داود[1] انها سريانية بمعنى (الخصوبة او الصفوة) وأثبت الاب انستاس الكرملي[2] انها ساميّة الاصل بمقتضى الاشتقاق اللغوي ومعناها (المدينة الخصبة الارض المكتنزة التراب الدسمة العلكته) وصار الاديب يوسف اليان سركيس[3] الى ان أصل اسمها اراي ومعناه (اللبن او البيـاض) وعندي انه لا ينجلي اصل اسمها ومعناه الا بعـد الكشف عن كتابات الحثيين وآثارهم

وحلب قديمة العهد رقاها مؤرخو العرب الى زمن ارتحال ابرهيم من ادروحران الى ارض كنعان على ما يظهر من الرواية السابق ذكرهـا وذهب كثير من المؤرخين الى انها حلبون التي ذكرها حزقيال[4] وكالبون التي ذكرها استرابون وبتولمـاي . وقال بعض أهل التحقيق والسياحة بل هذه حلبون احدى قرى دمشق المشهورة بخمرها وزعم

(١) النصارى ص ٢٣ (٢) المشرق ١٠ : ٩٦٩ (٣) الدر المنتخب ص ٢٨ (٤) نبؤة حزقيال ٢٨ : ١٨

ابن العبري ان بانيها بتحوس ملك اشور [1] ووهم قوم ان بانيها نمرود اول ملوك بابل وكل هذا يقتضي له من اعمال النظر ما لا يسعه صدر هذه المقالة

وما لا شبهة فيه ان حلب كانت مدينة عامرة في المئة الرابعة عشرة قبل الميلاد كما يظهر من كتابة مصرية ترتقي الى عهد رعمسيس الثاني من الدولة التاسعة عشرة وصف فيها عامل مصري رحلته الى شمالي سورية وذكر في اثنائها (خلبو) اي حلب مرات . وقد نظر هذه الرحلة شباس العالم معلقاً عليها بعض الشروح

ولا يمتري احد الآن فيما يرجحه الاكثرون من ان بناة حلب هم الحثيون الشماليون وقد كانوا شعباً قوياً نشيطاً نزلوا على سورية الشمالية فعمروها وتغلغلوا في اطرافها في عهد فتوحات ملوك مصر الفراعنة التي توالت على سورية من القرن السابع عشر الى الرابع عشر قبل المسيح وما تركه هؤلاء الحثيون من الكتابات والآثار والرسوم في نواحي حلب وحمص وحماه أسطع دليل على ذلك الترجيح

ولما غشى رعمسيس الثاني سورية بجحافله الجرارة لقتال موتنار ملك الحثيين بسبب نقضه شروط المحالفة التي عقدها مع سلفه ساتي الاول كان ملك خلبو (حلب) الى جانب موتنار وتحت قيادته ثمانية عشر ألف جندي فجرت وقعة هائلة على اسوار قادس دارت فيها الدوائر على الحثيين فتفرقت صفوفهم طرائق وهرب موتنار وغرق ملك حلب في جملة من غرقوا في نهر العاصي وفي صورة هذه الواقعة المنقوشة على هيكل الاقصر

(١) مختصر الدول ص ٣٨

يُرى ملك حلب مستخرجاً من النهر ومعلقاً برجليه يتدفق من فيهِ ما كان يظن انه ابتلعه من الماء القس جرجس منش

﴿ المعلوم والمجهول ﴾

صدر منذ عامين الجزء الاول من هـذا الكتاب لمؤلفهِ الكاتب والشاعر الشهير ولي الدين بك يكن ، فكان له رواجٌ كبير بين القراء . ثم فرغ حضرته الآن من وضع الجزء الثاني من هذا المؤلَّف وهو صادر بعد بضعة ايام من مطبعة المعارف . وتيسر لنا أن نطالعه فنقدم لقراء « الزهور » شيئاً منه قبل سواهم . فاقتطفنا منه وداع المؤلف للاستانة وذكر سفره منها يوم نُفي الى سيواس :

يممت فروق مدعواً ونزحت عنها مجفواً . فلا الدعوة أبطرتني ولا الجفوة كفرتني . وما زلت من لدن وطئت مهادها وعلات انهارها وشممت طيبها ورعيت كواكبها صادق الود . مخلصاً في السر والجهر . وما فروق الا وطن ميلادي استهلت فيها حياتي ونما في ارضها عودي . بذلت لها روحي ولا أمن بها ومنحتها آمالي ولا أدل بها . وكانت شقوة فغلبت على أمري ، ونزعت عنها نزوع الصب عن موطن صبابته . . . .

على ظهر قصر سابح . في لجج البسفور . بين شطي اوروبا وآسيا . من الوطن المحبب الى غاية مجهولة . فراق أهل وولد . من غير توديع ولا تسليم . كل ذلك تحت ليل كأنه ظل الشقاء وسماء تخاطر الواله . في حيث تتراءى تفاريق نور على البيوت كبسمات ارواح المظلومين من وراء حجب الوجود . لقد كنت شاعراً في ظلمك يا عبد الحميد . . . .

واذا نحن نسير بين منظرين ما تفتحت الاعين على احسن منهما . شطي آسيا واوروبا . يتناغيان بالمصابيح . عاشقان ضنت عليهما الاقدار بالتلاقي . مررنا بهما ام مرَّا بنا . لا أعلم . صحائف أجاد الحسن فيها منمقه . نشرت فانطوت . زلت عنها الأبصار وضاقت عنها الفهوم . فرائيها متخيل وعارفها متوهم . ما شك ناظر الى السماء واليها ان تلك كواكب سقطت عليها . عهدي بها في حالتيها . بينا هي عرين اذا بها كناس . يخالط فيها كل زئير ليث عندلة عندليب . تتجاور بها مسارح آرام ومصارع كرام . تسقى من ماء معين ومن دم مهراق . تطالعها وجوه ضاحكة واخرى مجهشة . تقسمتها مواسم الصبا فهي تارة مشتى وآونة مصيف وحيناً مربع . جنة يحرسها حارس جهنم . فتنتني يوم لقائها وتوشك ان تفضحني يوم فراقها . فروق يا ظلوم . خذي روحي فما هبطت عليَّ الا فيكِ واسترجعي من انحاء الفضاء متفرقات انفاسي . أنتِ أولى بحسراتي منه . استبقي لي خاطراً احييكِ به وشعراً أنوح به عند فراقكِ . يا نعيمي الماضي وشقائي الحاضر . ألا يضطرب ماء هذا الخليج مجاراة لجوانحي . وددت لو ان ارتطم عبابه وترامت امواجه وأغرقتنا قبل ان نجتاز ربوعكِ . كان بكِ مهدي . واريد ان يكون بكِ لحدي . هنيئاً يومئذٍ لحوتكِ ونونكِ ما ابقت الايام من لحم على وضم . ولتتصرف رياحكِ بأخريات انفاسي ولترنّ في ارجائكِ نوحاتي . الوداع الوداع يا فروق . وسلام الله عليكِ وعلى بنيكِ كلهم . هذا طريد جديد . مظلوم يلحق بمظلومين . يخرجونني منكِ ليلاً لأزاكِ في ثوب حدادكِ .

أمن أجلي كل هـذا . كلا . بل حدادكِ على اختكِ الغزالة . أنا اضيع فيكِ من دمعة على خد مهجور . أنا اهون على الدهر من ذرة من ذراتك ضلت بين ثنيات الاثير . . . . .

ولي الربيه بكين

ازهار واشواك

اقرار ومتاب

هذا هو عنوان القصيدة التي اشرت اليها في العدد الماضي اثناء ما رويتهُ عن الحفلة الجميلة التي أقيمت في منزل صديقي سليم سركيس اكراماً لصديقته السيدة نجلا صباغ . فزت بها لأتحف قرائي بعذوبة نظمها واطربهم ببديع معانيها ، وقد شاء خليل مطران منضد دررها ان يخصني بها وهي خير ما اقدمه لقراء الزهور في هذا الشهر . قال خليل متذكراً وما أجمل تذكاراته !

هل تذكرين[1] ونحن طفلان عهداً «بزحلة»[2] ذكره غُنمُ
اذ يلتقي في الكرم ظلاّنِ يتضاحكان وتأنس الكرمُ ؟
هل تذكرين بلاءنا الحسنا حين اقتطافِ أطايب العنبِ
نُعطي ابتساماتٍ بهـا ثمنا وبنا كنشوتها من الطربِ ؟

عنب « زحلة » يساوى كثيراً على ان الشاعر لم يدفع به ثمناً بخساً

هل تذكرين غداة نخطر عن مَلكين حفًّا بالمسرّاتِ
بين السماواتِ النواضر من عليـا ودنيـا والثريّاتِ ؟

(١) الشاعر يخاطب السيدة نجلا صباغ قريبته (٢) مدينة فى لبنان